الفصل الأول

من الأساليب الطلبية

المبحث الأول: تركيب النداء

أ) النداء:

لغة: هو الدعاء برفع الصوت، وقد ناديته نداء، وفلان أندى صوتاً من فلان، أي أبعدُ مذهباً أو أرفع صوتاً[1].

و اصطلاحا: طلب إقبال المنادى بحرف نائب مكان (أدعو) لفظا أو تقديرا، وقد يكون الإقبال حقيقيا أو مجازيا للتنبيه. [2]

والنداء من الأساليب الإنشائية، وهو يتشكل أشكالاً متنوعة، فقد يكون نداءً لذاته، أي أنه يهدف إلى مجرد المناداة، وهو ما يكاد يكون لمجرد طلب الانتباه، أو التماس القدوم والاقتراب، وقد يكون النداء صياغة لفظية تنبه المستقبل للرسالة اللغوية كي يصغي إلى مضمونها. [3]

ولذلك يترجح عند الباحث أن النداء: لفت انتباه السامع، وإثارته لسماع ما يريده المتكلم، إما لطلب إقبال، أو سماع أمر، أو تنبيه على أمر، أو استلطاف، وهذا الأخير خاص بالدعاء، ويكون بحرف نداء ملفوظ أو مقدر.

- حقيقة جملة النداء:

- يرى سيبويه أن المنادى منصوب بفعل متروك إظهاره[4] وعلى مذهبه ذهب المبرد، وكثير من النحاة[5]، وهذا الرأي خالفه بعض النحاة؛ لأن هذا التقدير يخرج أسلوب النداء من الإنشاء إلى الخبر.[6]
- ويرى بعض النحاة أن حروف النداء أسماء أفعال بمعنى (أدعو) وقد رده آخرون[7].

---

(1) لسان العرب (ندى) (97/14).
(2) سيبويه (231/1)،شرح الكافية (131/1)، حاشية الصبان (133/3).
(3) الشرط في القرآن الكريم في ضوء اللسانيات الحديثة، عبدالسلام المسدي، ومحمد هادي الطرابلسي، الدار العربية للكتاب - تونس،1985م، (165).
(4) الكتاب (191/1)، (291/1).
(5) المقتضب (202/4).
(6) الخصائص (186/1)، والتفسير الكبير للإمام الفخر الرازي،المطبعة البهية المصرية،د.ت،(82/2).
(7) مغنى اللبيب (488).

- ويرى غيرهم أنّ الناصب للمنادى هو الحروف أنفسها وقدّره أيضاً ابن هشام وغيره.[1]

ويرى عدد من المحدثين أن النداء جملة قائمة برأسها، وهي جملة إفصاحية، ويسميها آخرون الجملة غير الإسنادية، أي التي لا تقوم على المسند والمسند إليه.[2]

والراجح أن جملة النداء تتكون من (حرف) للنداء، و(اسم) وهو المنادى، ويُعدا جملة تامة لأنهما يفيدان معنى يحسن السكوت عليه، وتقدير فعل مع أداة النداء والمنادى كما ذكر النحاة غير صحيح، ويخرج الجملة عن غرضها.

- أركان تركيب النداء: وللنداء أركان يقوم عليها:

أداة النداء: وأداة النداء هنا هي التي تستخدم لتنبيه السامع لتلقي ما يريده المتكلم، واختلف في عدد هذه الأدوات.

فسيبويه يشير إلى أنها خمسة، إذ يقول: فأما الاسم غير المندوب فينبه بخمسة أشياء بـ(يا، وأيا، وهيا، وأي، وبالألف)، نحو قولك: (أَحارِ بنَ عمرو).[3]

وهذا المذهب ذهب إليه ابن السراج إذ يرى أن الحروف التي ينادى بها هي: يا، وأيا، وهيا، وأي، وبالألف وهذه ينبه بها المدعو.»[4]

ويقول السيوطي: «أدوات النداء ثمانية وليست كلها محل اتفاق وهي: الهمزة، وأي وأيا، وهيا، وآي، (وآ)، و (وا)، والجمهور على أنها أحرف.»[5]

ومهما كان في الأمر من خلاف فإن هذه الحروف كلها، استعمل العرب بعضها بكثرة وهي المتفق عليها، والتي اختلف فيها استعملت بقلة، وهذه القلة لا تلغي كونها أحرفاً للنداء، وأكثر هذه الأحرف وروداً، في السيرة النبوية، "يا" ثم "أي"، ثم "الهمزة".

المنادى: هو الذي يوجّه إليه الخطاب سواءً أكان عاقلاً، أم غير عاقلٍ، وهو اسم يذكر بعد أداة النداء.

وهذا المنادى يقسم عند النحاة على ثلاثة أقسام، وهذه الأقسام بينها سمات وخصائص متشابهة، جعلت النحاة يميزون كل قسم عما سواه.

ب ـ أنماط المنادى في السيرة النبوية:

أولاً: المفرد العلم.

والمفرد هنا هو نقيض المركّب، ويدخل في هذا النوع ما ليس مضافاً، أو شبيهاً، بالمضاف، وما كان مركباً تركيباً مزجياً، أو كان مثنى، أو مجموعاً، مثل: يا معدي كرب، يا محمدان، يا محمدون.[6]

---

(1) السابق (488).
(2) اللغة العربية معناها ومبناها (117)، دراسات في اللسانيات العربية (63/2).
(3) كتاب سيبويه (229/2).
(4) الأصول في النحو (329/1).
(5) الهمع (34/3).
(6) حاشية الصبان (138/3).

واختلف النحويون في حكم المنادى المفرد المعرفة، فسيبويه يجعل المنادى مفعولاً به لفعل محذوف مقدر حذف لكثرة استعماله بباب النداء، وصارت أداة النداء بدلاً من هذا الفعل، وعلى مذهبه سار البصريون.[1]

وأما الفراء فذهب إلى أن المنادى العلم مبني على الضم، وليس بفاعلٍ، ولا مفعولٍ[2]، وعند غيره من الكوفيين أن المنادى المفرد معرب مرفوع بغير تنوين.[3]

وأكثر ما جاء هذا النمط في السيرة النبوية مفرداً علماً، لا مركباً تركيباً مزجياً، ولا مثنىً، ولا مجموعاً.

ومن هذا النمط في السيرة النبوية في الشعر قول قتيلة بنت الحارث:

أمحمـــــدُ يـــــا خيـــــرَ ضـــــئنٍ كريمـــــة

فـــي قومهـــا والفحـــلُ فحـــلٌ مُعـــرِق[4]

وقول عبد الله بن رواحة:

ألا يـــــا هنـــــدُ لا تُبْـــــدي شـــــماتاً

بحمـــــــزةَ إنّ عـــــــزَّكم ذليـــــــلُ[5]

ومنه في النثر: قوله ﷺ: «من هؤلاء يا جبريل؟»[6]، ومنه قول أسعد بن زرارة: «أي مصعب، جاءك والله سيد من وراءه من قومه.»[7]

ثانياً: النكرة المقصودة:

وهذا النوع من المنادي، مبنى على الضم كالعلم المفرد، وهي التي يراد بها معيَّن مثل: (يا رجلُ أقبل)، وأنت تريد شخصا بعينه، وهذا النوع يحدده السياق، وتكون العلامة الإعرابية دليلاً عليه وقيدا له، فإذا قلت: (يا رجلُ اتَّقِ الله)، فإن الجملة تدل على أنك قلتها في مقامٍ المخاطبُ فيه مفردٌ تعرفه بعينه، ولكن لم تفصح باسمه فجئت باسم الجنس (رجل)، وجئت بالضمة دليلاً على أن المنادى معروف، ولكنما ناديته بلفظ نكرة وهي (رجلُ)، فإذا نصبت وقلت (يا رجلاً)، كان المعنى عاماً.

---

(1) الكتاب (291/1)، الإنصاف في مسائل الخلاف، م (45)،(323/1).
(2) معاني القرآن (283/2).
(3) الإنصاف م (45)،(323/1).
(4) السيرة (48/3).
(5) السيرة (181/3)، (236/1).
(6) السيرة (19/2)، (429/1).
(7) السيرة (50/2)،وانظر(381/1)، (224/2).

و هذا النمط قليلٌ في السيرة، لأنه لا يُحتاج إليه إلا في بعض المقامات، ومما جاء منه في الشعر قول البيضاء بنت عبد المطلب:

ألا يا عينُ جودي، واستَهِلّي

وبكّي ذا الندى، والمَكْرُماتِ [1]

ومنه في النثر قول أبي أيوب الأنصاري لرافع بن وديعة: «أدراجكَ يا منافقُ من مسجد رسول الله» [2]، فالمنادى (منافق) نكرة، وقد قصد بها شخص معيَّن، ومنه قول ابن إسحاق: «ويحك يا فلانُ.» [3]

ثالثاً: النكرة غير المقصودة:

وهي لا تدل على معينٍ مقصودٍ بالنداء، فإذا قلت: «يا رجلاً أقبل، فإنما تقديره (يا واحداً من الرجال)، وكل من أجابك فهو الذي عنيت، ولم تقصد واحداً بعينه»، والمازني يمنع هذا النوع قياسا على المجموع؛ لأن نداء غير المعين لا يمكن [4]، والنكرة غير المقصودة واجبة النصب عند سيبويه[5]، والفراء يختار النصب، [6] وهذا النمط يكثر في المواقف التي يكون فيها الخطاب عاماً، ليس موجهاً لشخصٍ بعينه، وجاء منه في السيرة قول حسان:

يا فارساً يا مِدرهاً

يا حمزُ قد كنت المصامِح[7]

وقول أبي قيس بن الأسلت:

يا راكباً إمَّا عَرَضتَ فَبَلِّغَنْ

مغللةً عني لؤيَّ بنَ غالبِ [8]

وقد تأتي (يا) النداء للتكثير كـ(رُبَّ) وهو أحد معانيها، ومنه قول رجل من الأزد:

يا غزوةً ما غزونا غيرَ خائبةٍ

---

(1) السيرة (208/1)، 27/4).
(2) السيرة (142/2).
(3) السيرة (249/1).
(4) المقتضب (216/4)، الهمع (39/3).
(5) الكتاب (182/2).
(6) معاني القرآن (375/2).
(7) السيرة (170/3).
(8) السيرة (320/1).

فيهـــا البغـــالُ وفيهـــا الخيـــل والحمُـــرُ [1]

(1) السيرة (244/4).

رابعاً: المنادى المضاف:

وهذا النوع من المنادي يكون مركباً تركيباً إضافياً، «وسواء أكانت الإضافة محضة، وهي الخالصة من شائبة الانفصال، نحو: (ربنا اغفر لنا)، أي يا ربنا، أو غير محضة، وهي إضافة الصفة لمعمولها نحو: يا حسن الوجه» [1]، وحكم المنادى المضاف وجوب النصب.

- أنماط المنادى المضاف في السيرة النبوية، وهذا النمط ينقسم إلى أنواع بحسب نوع المضاف.

النوع الأول: المنادى المضاف إلى غير الضمير، وهو أكثر أنواع المنادى في السيرة، ومنه في الشعر قول أبي قيس بن الأسلت:

أربَّ النـــــــاس أشـــــــياءٌ أَلَمَّـــــــت

يُلَـــــفُّ الصـــــبُ منهـــــا بالـــــذَّلول [2]

وقول ابن الزبعرى:

يـــــا رســـــولَ المليـــــك إن لســـــاني

راتـــــق مـــــا فَتَقْـــــتُ إذْ أنـــــا بـــــور [3]

ومن النثر: «يا رسولَ الله» [4]، «يا نبيّ الله» [5]، «يا أمَّ عبد الله» [6]، «يا معشرَ قريش.» [7]

---

(1) شرح التصريح (167/2).
(2) السيرة (51/2).
(3) السيرة (67/4).
(4) السيرة (109/2، 110، 239).
(5) السيرة (53/2).
(6) السيرة (380/1).
(7) السيرة (256/1)، وانظر (330/1، 408، 411)، (83/2، 101)،(329/4،112).

النوع الثاني: المضاف إلى الضمير، وهو نوعان:

أ) المضاف إلى (ياء) المتكلم: وقد أفردت هذا النوع؛ لأن النحاة خصّوه بمسائل دون غيره من الأنواع، و لأن فيه لغات كثيرة هي:

- حذف الياء والاجتزاء بالكسرة عنها، نحو قوله تعالى: {يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ}.[1]
- إثبات الياء الساكنة، نحو: يا عبادي، ويا غلامي أقبل، في الوقف والوصل.[2]
- أن تقلب الياء ألفاً، والكسرة فتحة، نحو: يا حسرتاه، فأصلها يا حسرتي، وهذا محمول على الاستغاثة حيث يحول المعرب الياء ألفاً.[3]
- حذف ضمير المتكلم وضم الحرف الذي كان مكسوراً، نحو: يا أمُّ لا تقتلي، وذكر سيبويه عن يونس: « وبعض المعرب يقول: يا ربُّ اغفر لي، ويا قوم لا تقتلوا».[4] تقتلوا».[4]
- حذف الألف والاجتزاء بالفتحة الدالة عليها نحو: يا غلامَ، وهو شاذ.[5]
- قولهم يا أبتِ، وأمتِ والأصل يا أبي ويا أمي، فأبدلت التاء من الياء، وهو الأكثر في كلام المعرب.[6]
- يا أبتَ، وأمَتَ، بفتح التاء، ويرى المعكبري أنه أراد (يا أبتا) فحذف الألف تخفيفاً.[7] تخفيفاً.[7]
- يا أبتاه، ويا أمتاه، ذكر سيبويه عن الخليل:« أن هذه الهاء في النداء، إذا أضفت إلى نفسك خاصة.»[8]

---

(1) الزمر (16).
(2) كتاب سيبويه (210/2).
(3) معاني القرآن (39/2).
(4) الكتاب (209/2).
(5) الكواكب الدرية (11/2).
(6) السابق (11/2)
(7) التبيان في إعراب القرآن (721/2).
(8) الكتاب (211/2).

- يا أبتُ ويا أمت بالضم، ذكره سيبويه أن من العرب من يقول: (يا أمتُ لا تفعلي)، ووصفه بالقلة[1]، وأجازه الفراء[2] والنحاس.[3]
- قولهم: يا أبتي ويا أمتي، ولا يجمع بين التاء والياء عند البصريين، قال ابن عيش: «لذلك لا تجتمعان، فلا تقول: يا أبتي، ولا يا أمتي»[4]، وأجازه الكوفيون على أن تكون الياء للإضافة، والتاء للتأنيث.[5]
- وإذا كان المنادى (ابن عمّ) أو(ابن أمّ) فتحذف الياء على الأكثر، نحو: «يا ابن عم، ويا ابن أم – بكسر الميم فيهما.»[6]

ومما جاء في السيرة النبوية من هذه الأنواع:

1. قول أسامة بن زيد: «يا أبتِ، أحقٌ هذا»[7].
2. وقول إياس بن معاذ: «أي قومُ هذا والله خير مما جئتم له.»[8]
3. وقوله ﷺ: «يا عمِّ»[9]، ومنه: «يا ربِّ»[10]وهذا النوع يجوز فيه الفتح، والضم، والكسر.
4. وجاءت لغة في السيرة أخرى لم تذكر من قبل النحاة فيما أعرف، وهو لفظ أم مع هاء السكت، ودخلت ليُتوصل بها إلى قطع الصوت، وذلك في قول الزبير بن العوام: « يا أُمَّهْ إنّ رسول الله يأمركِ بالرجوع»[11]

---

(1) الكتاب (209/2).
(2) معاني القرآن (32/2).
(3) إعراب القرآن (312/2).
(4) شرح المفصل (11/2)
(5) شرح الكافية (48/1)
(6) شرح التصريح (179/2).
(7) السيرة (254/2)، (37/2).
(8) السيرة (41/2)، (22/4).
(9) السيرة (303/1).
(10) السيرة (44/3، 43/3، 327).
(11) السيرة (108/3).

5. وجاء قول عتبة بن ربيعة: «يا ابنَ أخي»[1]، وإذا كان المنادى مضافاً إلى مضافٍ إلى ياء المتكلم، فالياء ثابتة ولا يجوز حذفها.[2]

ب) المنادى المضاف إلى ضمير غير ياء المتكلم.

وهذا النوع لا إشكال فيه، وحكمه حكم المضاف إليه، ولا يجري عليه حذفٌ للضمير، ومنه في السيرة النبوية: «رَبَّنا» وجاءت في السيرة النبوية كثيراً.[3]

خامساً: المنادى الشبيه المضاف:

عرَّف النحاة هذا النوع من المنادى بأنه: «ما اتصل به شيء من تمام معناه، نحو: يا حسناً وجهه، ويا طالعاً جبلاً، ويا رفيقاً بالعباد، ويا ثلاثة وثلاثين، فيمن سميته بذلك.»[4]

وهذا النوع من المنادى فيه ارتباط بما بعده، إما بالعمل على الفاعلية مثل: (يا حسناً وجهه أو مرتبطاً بما بعده بالعمل على المفعولية مثل: (يا طالعاً جبلاً)، أو مرتبطاً بما بعده بحرف الجر، (يا رقيباً للعباد)، أو مرتبطاً بما بعده بحرف عطف (يا ثلاثة وثلاثين)، وهذا النوع من المنادى واجب النصب، وهو نادر في السيرة، ومنه قول صفية بنت عبد المطلب:

أســـــائلةً أصـــــحابَ أحُـــــدَ مخافـــــةً

بنـــــاتُ أبـــــي مـــــن أعجـــــمٍ وخَبيـــــرِ [5]

سادساً: المنادى المعرف بـ (أل):

1) دعاء لفظ الجلالة، وهو نوعان:

أ) الدعاء بلفظ(اللهم):

كان حرياً بالنحاة أن يجعلوا هذه الكلمة قسماً بذاته في أقسام المنادى، وقد جعلها الخليل في باب النداء، والنحاة يجعلون الميم عوضا عن (يا) النداء، قال سيبويه: «وقال الخليل – رحمه الله – اللهمّ نداء، والميم هنا بدل من(يا) فهي ها هنا - فيما زعم الخليل - رحمه الله – آخر الكلمة بمنزلة (يا) في أولها»، [6]وذهب المبرد إلى خلاف ذلك، قال: «ولا يجوز عنده وصف المنادى ولا أراه كما قال؛ لأنها إذا كانت بدلا من (يا) فكأنك قلت: يا الله، ثم تصفه». [7]والذي ترجح عند الباحث أن كلمة (اللهم) نوع من أنواع المنادى قائماً بذاته، وهو على هذه الصورة التي وردت عن العرب ؛ لأنه لم يرد في كلام العرب كلمة أخرى استخدمت معها الميم المشددّة في باب النداء إلا هذه الكلمة.

---

(1) السيرة (330/1).
(2) شرح التصريح (179/2)
(3) السيرة (265/1، 132/3).
(4) حاشية الصبان (140/3).
(5) السيرة (185/3).
(6) الكتاب (196/2).
(7) المقتضب (239/4).

وتدخل (اللهم) من المنادى المبني على الضم في محل نصب، وقد هذه الكلمة منادى بأداة مقدرة تقديرها (يا) لا سيما وقد ثبت اجتماع (يا) النداء مع اللهم في بعض الأبيات الشعرية التي يستشهد بها على ذلك، [1]وهذه الميم ليست عوضا عن (يا) وإنما هي للتعظيم المفهوم من دلالتها على التكثير، وكأنّ الداعي يقول(ياالله ياالله...)، وجاء من هذا النمط في السيرة النبوية الكثير ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل:

أنفـــي لـــك اللهـــمّ عـــانٍ راغـــم

مهمـــــا تُجَشِّـــمُني فـــــإني جاشـــــم[2]

ومن النثر قول هشام بن العاص: «اللهمّ فهمنيها»[3]، وقد يحذف منها (أل) وجاء منه منه في السيرة قول عبد المطلب:

لاهـــــم إنّ العبـــــدَ يمنـــــعُ

رَحْلَـــــــه فـــــــامنع حِلالـــــــك [4]

وقد تستعمل (اللهم) قبل حرف من أحرف الجواب، لتفيد الجواب تقويةً، وتمكيناً في نفس السامع»[5]، ومنه في السيرة قول المسلمين في حجة الداع: «اللهم نعم.»[6]

ب) النداء بـ(يا):

تدخل ياء النداء على لفظ الجلالة، وهو معرف بـ(أل)، وهو ما يمنعه بعض النحويين، بحجة أنه لا يدخل تعريف على تعريف، [7] والراجح أنه لما صار لفظ الجلالة عَلَماً على الله تعالى، وصارت (أل) كأحد حروفه، [8] جاز دخول (يا) عليه، وأيضاً فإن السياق الصوتي يسمح بالجمع بين (أل) و (يا) التي للنداء مع لفظ الجلالة.

فالقضية ليست اجتماع أداتي تعريف على معرَّف واحد كما يقول النحاة، وإنما القضية أن الأسلوب كثر في كلام العرب، وجاء في القرآن والحديث، والشعر، ويكفي ذلك حجةً وبرهاناً.

وهو مما اختص به لفظ الجلالة دون غيره من الألفاظ، واللام لا تحسب للتعريف، كما جاز قطع همزة(أل) ؛ لأنه دعاء لله تعالى، والله تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد، فلا يحتاج إلى مد الصوت كما في نداء الإنسان وما نزّل منزلته.

---

(1) الإنصاف م (47)، (1/341-346).
(2) السيرة (1/267)، تجشمني: تكلفني.
(3) السيرة (2/89)، (2/233)، (3/370).
(4) السيرة (1/84)،وانظر(1/85)، حلال: جمع حِلة وهي جماعة البيوت.
(5) حاشية الصبان (3/14).
(6) السيرة (4/260،)،(2/157).
(7) المقتضب (4/239).
(8) السابق (4/239).

2) نداء المعرف بـ(أل) غير لفظ الجلالة:

و إذا كان المنادى المعرف بـ(أل) غير لفظ الجلالة، فإنه يحتاج إلى واسطة، وهذه الواسطة التي يتوصل بها للمنادى المعرف بـ(أل) هيك (أي) أو (اسم الإشارة)، واختاروا اسم الإشارة للقريب مع (ها) التنبيه أو من دونها.

ويرى بعض الباحثين أنه لا يمنع أن يقال: (يا ذاك الرجل)، أو (يا تلك المرأة)، إذا وجد له مسوغ بلاغي[1]، وقد يتوصل لهذا المنادى بـ(أي)، واسم الإشارة معاً، وهو قليل.

قال العكبري في إعراب (يا أيها الناس): « (أي) اسم مبهم لوقوعه على كل شيء أتى به في النداء، توصلاً إلى نداء ما فيه الألف واللام، إذْ كانت (يا) لا تباشر الألف واللام، وبنيت لأنها اسم مفرد مقصور، وها مقحمة للتنبيه، لأن الأصل أن تباشر (يا) الناس، فلما حيل بينهما بأي عوض من ذلك (ها)، والناس وصف لأي لا بد منه، لأنه المنادى في المعنى، ومن هاهنا رُفِع، ورفعه أن يجعل بدلاً من ضمة البناء.» [2]

والوسيلة المحوجة إلى واسطة في مثل هذا من وجهة نظر الباحث هي علة صوتية، ؛لأن أداة النداء مقطع صوتي مفتوح، وعندما تدخل على (أل) فإنها تمنع مدّه، ومد الصوت في النداء ضروري.

وجاء من هذا النمط في السيرة مما توصل إليه بـ(أيّ) و(ها) التنبيه قول مطرود الخزاعي:

يـــا أيُّهـــا الرجـــلُ المحـــولُ رحلَـــه

هـــلاّ ســـألتَ عـــن آلِ عبـــد منـــاف[3]

ومما توصل إليه بـ(أي) مع (ها) التنبيه واسم الإشارة قول أعشى بني قيس:

ألا أيُّهـــذا الســـائلي أيـــن يَمَّمـــتْ

فـــإن لهـــا فـــي أهـــلِ يثـــرب موعـــدا[4]

وقد وصف (أي) بـ(هذا)، و(السائلي) بدل من (هذا)، وحذف في البيت (يا) النداء، وقد يحذف مع (أي) حرف النداء، ومنه في السيرة قول أمية بن أبي الصلت:

ألا أيُّهـــا الإنســـانُ إيـــاك والـــرَّدى

فإنَّـــك لا تُخْفـــي مـــن الله خافيـــا [5]

---

(1) التراكيب اللغوية، أ.د. هادي نهر، دار اليازوري، عمّان، ط 2004م، (253).
(2) التبيان (34/1).
(3) السيرة (215/1)،(218/3،197).
(4) السيرة (424/1).
(5) السيرة (264/1).

ومن النثر قول زينب بنت الرسولﷺ: « أيُّها الناس إنّي قد أجرتُ أبا العاص بن الربيع.»[1]

3) **جملة جواب النداء:** الركن الثالث من تركيب النداء هو جملة جواب النداء، وهي تحتوي على مضمون النداء، وتكون عادة جملة قائمة بذاتها مكتملة العناصر تؤدي وظيفة تركيبية هي وظيفة مضمون النداء[2]، وتتنوع بين الجملة الخبرية، والإنشائية، طلبيةً، وغير طلبيةٍ، فالنداء من أكثر الأساليب التي تتداخل معه الجمل في جوابها.

مسائل تتعلق بالنداء:

أ) أسماء لازمت النداء.

ذكر النحويون أسماءً لا تستعمل إلا في النداء خاصةً، قال سيبويه: وهناك أسماء وردت للمنادى، ولا يقولونها في غير النداء، نحو: يا فَسَاقِ، ويا خَبَاثِ، ويا لَكَاع، ويا خبيثة، ولكاع »[3]، وقال ابن السراج: «وأما التغيير فقوله: يا فُسَقُ، ويا لُكع، وهذا يكون للتكثير والمبالغة» [4]، يعني قوة النداء على التغيير بالزيادة في آخر المنادى والحذف فيه.

وقال الصميري معللاً استخدام هذه الأسماء خاصةً في النداء:«لقوة النداء على التغيير »[5].

ومما جاء في السيرة النبوية من هذه الأسماء قول عبدالله بن رواحة: «ما عليك يا لُكَع أن يرزقني الله شهادةً»[6]، وقول عروة بن مسعود: «أي غُدَر، وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس.»[7]

---

(1) السيرة (269/2).
(2) الشرط في القرآن الكريم (165).
(3) الكتاب (198/2).
(4) الأصول في النحو (347/1).
(5) التبصرة والتذكرة للصميري، تح: فتحي أحمد مصطفى عليّ الدين، دار الفكر - دمشق،ط1، 1982م، (353/1).
(6) السيرة (24/4).
(7) السيرة (342/3).

ب) المنادى المكرر.

وهو كل تركيب وقع فيه المنادى مفرداً مكرراً، ووقع في المرة الثانية مضافاً إليه.[1]

وفي تركيب هذا النوع خلاف بين النحاة، فسيبويه يرى أنّ الثاني مقحم، فيكون المضاف إليه ما بعد الثاني، والمبرد يرى أنّ الأول مضاف لمماثل لما أضيف إليه الثاني، فحذف من الأول لدلالة الثاني عليه، والفراء يرى أنّ الاسمين مضافان إلى المذكور فلا حذف ولا إقحام، والأعلم يرى أن الأسمين مركبان تركيب خمسة عشر، ثم أضيفا إلى ما بعد الثاني[2]، ولا يخفى على المتأمل ما لهذه الآراء من أثر في توارد الحركات الإعرابية على الاسمين.

وعلى تحليل سيبويه هناك فصل بين المضاف والمضاف إليه، وهذا يمنع كثير من النحويين، وعلى تحليل المبرد يجب في الاسمين النصب لأنّ الأول على تقدير حذف المضاف إليه، وعلى رأي الفراء، والأعلم يجب أيضاً فيهما النصب فقط لتركبهما تركيب (خمسة عشر) على فتح الجزأين، ولكنّ النحاة يجيزون لهذا النوع من المنادى احتمالات إعرابية، هي:

أ) نصب الأول، ويجوز في الثاني أن يكون منصوباً توكيداً لفظياً، أو بدلاً، أو عطف بيان، أو مفعولاً به لفعل محذوف، أو منادى بحرف مقدر، وإذا اعتبر الاسم الثاني زائداً فإن فتحته تكون فتحة للمشاكلة المجردة.

ب) بناء الأول على الضم، لأنه مفرد معرفة، وينصب الثاني على المحل توكيداً، أو بدلاً، أو عطف بيان، أو على اعتباره منادى مضافاً مستقلاً، أو على اعتباره مفعولاً به لفعل محذوف.[3]

والذي يرجحه الباحث أنْ يبنى الأول على الضم طرداً للقاعدة، وينصب الثاني على قصد الاختصاص، أو على أنه بدل من الأول ونصب على المحل، ومما جاء في السيرة النبوية من هذا النمط قول جبل بن جوّال:

ألا يا سَعْدُ سَعْدَ بنِي مُعَاذٍ

لِمَا لَقِيَتْ قريظَةُ والنضيرُ[4]

وقول عبدالله بن رواحة:

ألا يا زيدُ زيدَ اليَعْمُلاتِ الذُّبَّلِ

تَطَاوَلَ الليلُ هُدِيتَ فَأنْزِلِ[5]

ج) الحذف في تركيب النداء:

---

(1) حاشية الصبان (153/3).
(2) شرح التصريح (171/2).
(3) النحو الوافي (55/4).
(4) السيرة (299/3).
(5) السيرة (24/4).

أولا: حذف حرف النداء: قال سيبويه عن حروف النداء ﻻ بد ذكره لها: «وإن شئت حذفتهنَّ كلهنَّ استغناءً، كقولك: حار بن كﻼب، وذلك أنه ﻻ بد له بمنزلة من هو مقبل عليه بحضرته يخاطبه».[1]

ويرى كثير من النحاة اختصاص (يا) النداء بالحذف دون أخواتها كونها أم الباب[2]، ومُنِع حذفها قبل اسم الإشارة وقبل النكرة، قال سيبويه: «ولا يحسن أن تقول: هذا ولا رَجُلُ، وأنت تريد: يا هذا، ويا رجلُ» [3]، ولكن الكوفيين أجازوا حذفها مع اسم الإشارة، واسم الجنس.[4]

ويُمنع حذف حرف النداء مع المندوب، والمستغاث، والمتعجب منه؛ وذلك لأن المندوب والمستغاث، والمتعجب منه يتطلبان مد الصوت، والحذف ينافيه.

وإذا كان المنادى لفظ الجلالة، فلا يجوز حذف حرف النداء نحو: يا الله إلا إذا عوِّض عنها بالميم المشدودة.[5]

---

(1) الكتاب (230/2). وهذا البيت الأخير منسوب في السيرة النبوية ﻻبد الله بن رواحة، ونسبه سيبويه لبعض ولد جرير.((1))
(2) الأمهات (253).
(3) الكتاب (230/2).
(4) معاني القرآن (290/2).
(5) الفصول الخمسون لابن معطٍ، تح: محمود محمد طناحي، (رسالة ماجستير - جامعة القاهرة) مطبعة عيسى البابي - القاهرة،1972م، (64).

حذف حرف النداء في السيرة:

1) حذفه مع لفظ الجلالة: يمنع بعض النحاة حذف حرف النداء مع لفظ الجلالة وعدم التعويض عنه بالميم[1]، ولا حجة لهم في ذلك ؛ لأن الدعاء لا يحتاج إلى مد الصوت، وورد في السيرة خلافا لما قالوه قول أمية بن أبي الصلت:

رضيت بك اللهم رباً فلن أرَى

أدين إلاها غيرَك اللهُ ثانياً[2]

وقد استدل آخرون بهذا البيت، على جواز حذف حرف النداء مع لفظ الجلالة دون التعويض بالميم، والتقدير (يا الله)، [3] وهو دليل أيضا على أن الميم ليست عوضا عن (يا) النداء إذْ لو كانت كذلك للزمت، وأما ما قاله النحاة من جواز حذفه مع التعويض عنه بالميم المشدّدة فليس ذلك لازما.

2) **حذف حرف النداء مع المضاف، ومنه في الشعر:**

فربَّ العباد ألقِ سيباً ورحمةً

عليّ وبارك في بنيَّ ومالياً[4]

البيت للدعاء ولا يحتاج فيه إلى حرف نداء، وجاء من هذا الحذف في النثر قوله ﷺ: «إليَّ عباد الله»[5]، والحذف هنا محكوم بالموقف الكلامي ؛إذ كان هذا النداء من الرسول في وقت معركة حنين للمؤمنين الذين طفقوا يتراجعون، فليس هناك وقت لمط الصوت وتمديده.

---

(1) السابق (64).
(2) السيرة (264/1).
(3) الأشباه والنظائر لجلال الدين السيوطي، تح: فايز ترحيني، دار الكتاب العربي،ط1، 1984م، (99/2).
(4) السيرة (265/1).
(5) السيرة (177/4).

3) **ومما حذف فيه حرف النداء مع (أي) قول أمية بن أبي الصلت:**

ألا أيهـــا الإنســـان أيـــاك والـــردى

.....[1]

ومن النثر قوله ﷺ: «أين أيها الناس؟». [2]، وعلة الحذف هي المفاجأة.

4) حذف حرف النداء مع اللام، وجاء منه في السيرة قول كعب بن مالك:

صـــفيةُ قـــومي ولا تجـــزي

وبكّـــي النســـاء علـــى حمـــزة [3]

ومما جاء من حذف الحرف مع اللام غير الناقل في الشعر قول مالك بن عوف:

أقـــدم محـــاجُ إنهـــا الأســـاوِرَة

ولا يغُرَّنّـــك رجـــل نـــادره[4]

ثانيا: حذف المنادى:

اختلف النحاة في حذف المنادى، قال ابن يعيش: «اعلم أنهم كما حذفوا حرف النداء لدلالة المنادى عليه، كذلك قد يحذفون المنادى لدلالة حرف النداء عليه». [5]

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ [6] على قراءة الكسائي بتخفيف (ألا) على أنها تنبيه، و(يا) نداء، والتقدير: ألا يا هؤلاء اسجدوا.

ويجوز أن يكون (يا) تنبيهاً، ولا منادى هناك، وجُمع بينهن تأكيداً لأن الأمر قيد يحتاج إلى استعطاف المأمور واستدعاء إقباله على الأمر. [7]

ومما حذف فيه المنادى في السيرة قول أمية بن أبي الصلت:

فقلـــت لـــه: يـــا اذهـــب وهـــارون فـــادعوا

إلـــى الله فرعـــون الـــذي كـــان طاغيـــاً[1]

---

(1) السيرة (264/1).
(2) السيرة (93/4)،(153/4)،(79/1).
(3) السيرة (176/3).
(4) السيرة (97،98/4)، وانظر(195/4)، ومحاج (اسم فرس).
(5) شرح المفصل (42/2).
(6) النمل (25).
(7) البرهان (180/3).

وقول عباس بن مرداس:
وغـــــداة أوطـــــاسَ شـــــدَدْنا شـــــدةً

كفـــتِ العـــدوَّ وقيـــل منهـــا: يـــا احبســـوا[2]

والتقدير في الأول (يا هذا) وفي الثاني(يا هؤلاء)، والظاهر أن المنادى يجوز حذفه إذا كان اسمَ إشارة، وجملة جواب النداء طلبية بفعل الأمر.

المنادى المرخم:

الترخيم في اللغة هو: الترقيق والتليين، قال ابن منظور: الصوت الحسن الرخيم هو الرقيق الشجي.. والترخيم: التليين[3]، واصطلاحاً: هو حذف آخر الاسم تخفيفاً. [4]

فعلة حذف الحرف كما ذكرها النحاة التخفيف، وقال سيبويه: لكثرته في كلامهم، أي لكثرة النداء' وابن هشام يرى أنّ سبب الحذف ضعف عن إتمام الاسم.[5]

والترخيم أسلوب من الأساليب التي يظهر فيها رغبة العرب وميلهم إلى الإيجاز والاختصار، والميل إلى تنويع الكلام وتلوينه.

شروط الترخيم: يشترط في الاسم الذي يراد ترخيمه شروط، وهو إما أن يكون مختوماً بتاء التأنيث أو مجرداً منها، وشروطه:

أن يكون معرفة، وغير مندوب ولا مستغاث، وأن يكون غير مبهم كأسماء الإشارة أو غير ضمير، وألاّ يكون مركبا غير إسنادي.[6]

لغات الترخيم:

قال ابن هشام: يجوز في الترخيم قطع النظر عن المحذوف، فتجعل الباقي اسماً برأسه فتضمه، ويسمى لغة من لا ينتظر، ويجوز أن لا تقطع النظر عنه، بل تجعله مقدّراً، فيبقى ما كان على ما كان عليه، ويسمى لغة من ينتظر [7]، وقد ذهب بعض الباحثين إلى تفضيل لغة التمام. [8]

والراجح أن هاتين اللغتين قد جاءتا عن العرب، وليس في تفضيل أحدهما مأرَبْ.

مما جاء مرخماً في السيرة النبوية:

1) ما جاء على لغة من ينتظر: ومنه قول حسان:

---

(1) السيرة (264/1).
(2) السيرة (119/4).
(3) لسان العرب، مادة رخم، (179/5).
(4) التعريفات (56)، شرح قطر الندى (213).
(5) الكتاب (239/2)،شرح قطر الندى (214).
(6) شرح قطر الندى (214).
(7) السابق (214).
(8) تركيب الجملة الإنشائية (311).

يـــا حـــارِ قـــد عوّلـــتَ غيـــرَ معـــوّل

عنـــــدَ الهيـــــاج وســـــاعةَ الأحســـــاب[1]

وقول أبي أسامة الجشميّ:
أعكـــرمَ هـــلاّ لُمْتنـــي إذْ تقـــول لـــي

فـــــداك بآطـــــامِ المدينـــــةِ خالـــــد [2]

2) ما جاء على لغة من لا ينتظر: ومنه قول حبيب بن خدرة:
يـــا طيـــبُ إنّـــا فـــي معشـــر ذهبـــت

مســـــعاتُهم فـــــي التَّبَّـــــار والتَّبَـــــبِ [3]

وقول مسافع بن عبد مناف:
يـــا مـــالُ مـــالَ الحَسَـــبِ المُقَـــدَّم

أنْشِـــــد ذا القربـــــى وذا التَّنَـــــدُّمِ [4]

وقول حسان:
يـــا فارســـاً يـــا مِـــدرهاً

يـــا حَمْـــزُ قـــد كنـــتَ المُصـــامِح [5]

والراجح أنّ ما جاء على لغة من لا ينتظر يكون الغرض منه الإيجاز والاختصار ؛ لأنه يظهر فيه قصد التمام بمجيء حركة الحرف الأخير فيه، وما جاء على لغة من ينتظر علته الضعف عن إتمام الاسم؛ لذلك جيء بحركة الحرف الذي قبل الأخير.

الاستغاثة:

(1) السيرة (22/3).
(2) السيرة (251/3).
(3) السيرة (389/1)، التبار والتبب: الهلاك.
(4) السيرة (69/3).
(5) السيرة (170/3).

الاستغاثة طلب الفَرَج والمعونة، قال ابن منظور:« ويقول الواقع في بلية أغثني، أي فرج عني »[1]، وهي في الاصطلاح: «كل اسم نودي ليخَلِّص من شدة، أو يعين على دفع مشقة» [2].

تركيب الاستغاثة: يتركب أسلوب الاستغاثة من: حرف النداء (يا)، ولا يستعمل إلا به خاصة، والمستغاث به، ويقتربن بلام مفتوحة، وتعرب حرف جر، والمستغاث له، ويقترن بلام مكسورة.

أنماط الاستغاثة في السيرة النبوية:

أ) ما جاء بفتح اللام، ومنه قول حمزة بن عبد المطلب:

ألا يـــا لَقـــومي للـــتَّحلم والجهـــل

ولِلـــنّقض مـــن رأي الرجـــال وللعقـــل[3]

فيـــا لَلـــؤي لا تطيعـــوا غـــواتكم

وفيئـــوا إلـــى الإســـلامِ والمـــنهج الســـهل[4]

ب) ما جاء مكسور اللام، ومنه قول حسان:

ألا يـــا لِقـــومي هـــل لمـــا حُـــمَّ دافـــع

وهـل مـا مضـى مـن صـالحِ العـيش راجـع[5]

وقول ناجية بن جندب الأسلمي:

يـــا لِعبـــاد الله فـــيمَ يُرْغَـــبُ

مـــا هـــو إلا مأكـــلٌ ومشـــرب [6]

وحركة لام الاستغاثة تدل على معنى، فإذا كانت مفتوحة دلت على أن ما بعدها المستغاث به، وإن كانت مكسورة دلت على أن ما بعدها مستغاث له[7]، ومما جاء في النثر

---

(1) لسان العرب، مادة (غوث)(139/10).
(2) شرح قطر الندى (218).
(3) السيرة (208/2)، (12/3).
(4) السيرة (209/2)، (13/3).
(5) السيرة (296/3).
(6) السيرة (378/3).
(7) شواهد العيني (167/3).

قول ابن إسحاق: «ألا انفروا يا لَغُدر لمصارعكم لثلاث»[1]، قال السهيلي: «لام الاستغاثة لا تدخل على مثل هذا البناء في النداء وحجته أنه هنا لا ينادي واحداً، وإنما أراد جمع غَدور»[2]، والظاهر أن هذا التركيب من تركيب الاستغاثة حيث جاء لام الجر مفتوحاً مع (غدر) وغدر من الأسماء التي تلازم النداء.

الندبــة:

جاء في اللسان: «النَّدْبُ أن تدعو النادبةُ الميت بحسن الثناء في قولها: «وافلاناه، واهناه، واسم ذلك الفعل: الندبة، وهو من أبواب النحو، وكل شيء في ندائه (وا) فهو من باب الندبة»[3]، وفي الاصطلاح المندوب هو: « المنادى المتفجع عليه، أو المتوجع منه»[4]، فالندبة إذن: تفجع على هالك، أو من في حكمه.

وقد جاء منه في السيرة قول عامر بن الحضرمي: «واعمراه، واعمراه»[5]، وقد تكون الندبة من التوجع في عضو من أعضاء الجسم، وجاء منه في السيرة: قوله – ﷺ - عند مرضه: «وارأساه»، وجاء أيضا من قول عائشة (رضي الله عنها)[6]، وقد يأتي لغير ذلك، كالتفجع من مصيبة، ومنه في السيرة قول سلمة بن عمرو الأسلمي:«واصباحاه»[7]، وقول الطفيل بن عمرو الدوسي«واثكل أمي.»[8]

وتركيب الندبة يتكون من:

1) الأداة:

وقد ذكر النحاة جواز الندبة بـ (يا) و(وا) فلا بد من أحدهما.[9]

ويتعين عندهم الندبة بـ (وا) فهي مختصة به، والأصل فيه لكثرة استعمالها.

وقد أجازوا دخول (يا) في باب الندبة إذا أُمِن اللبس[10]، ولا يجوز حذف هذه الأداة في هذا الباب.

2) ألف الندبة:

تزاد ألف الندبة آخر الاسم المندوب، ولها دلالة معنوية إذْ تدل على البعد، وأنّ المندوب بعيد لا يتوصل إليه إلا بها، ودلالة صوتية فهي تكسب الصوت ترنما وتطريبا[11].

وتأتي بعد هذه الألف هاء السكت، أو هاء الوقف، وتحذف عند الوصل.

---

(1) السيرة (219/2، 220).
(2) الروض الأنف (43/3).
(3) اللسان مادة (ندب)، (87/14).
(4) شرح قطر الندى (222).
(5) السيرة (235/2).
(6) السيرة (200/4).
(7) السيرة (309/3).
(8) السيرة (421/1).
(9) الكتاب (220/2)، الأصول في النحو (355/1).
(10) شرح التصريح (164/2).
(11) الكتاب (220/2).،الأصول (355).،أسرار العربية (243)،شرح المفصل (13/2).

إلحاق الاستغاثة والندبة بالنداء:

يلحِق النحاة الاستغاثة والندبة بباب النداء، وذلك الإلحاق سببه التشابه في الشكل الخارجي للتركيب، كون هذين البابين يستعمل فيهما أدوات النداء (يا) و (وا).

ولم يتنبهوا إلى المعنى، وإلى الفرق بين المنادى والاستغاثة والندبة، والأصل أنهما مستقلان عن باب النداء للأسباب الآتية:

1) أن تركيب النداء يتكون من جملتين، جملة النداء المكونة من أداة النداء، والمنادى، وجملة جواب النداء، أما الاستغاثة والندبة فليس فيهما ذلك.
2) أن الاستغاثة والندبة ليسا نداءً في الحقيقة، وإنما غرضهما شيء آخر، يتضح من تعريف كلٍ منهما.

وقد عدها بعض الباحثين من الأساليب الإفصاحية؛ لأنها تظهر مشاعر الحزن والألم بما تفيده من شحنة دلالية، وشحنة انفعالية بفضل التنغيم الموجود فيها [1]، فيترجح أنهما مستقلان من الناحية الدلالية عن باب النداء.

(1) اللغة العربية معناها ومبناها (117)، والألسنية العربية، ريمون طحان، المكتبة الجامعية، دار الكتاب اللبناني، ط2/1981م، (85).

المبحث الثاني

الاستفهـــام

الاستفهام هو طلب معرفة شيء مجهول، وله مصطلحات أخرى، مثل: الاستخبار، والاستعلام[1]، وبعض النحاة لا يرى فرقاً بين هذه المصطلحات، والبعض الآخر يرى أن هناك فرق بين الاستفهام والاستخبار، فالمرء قد يستخبر عن شيء فيخبر عنه فيفهمه أو لا يفهمه، فإن عاود السؤال عنه ليفهمه فهو مستفهم، والسؤال عنه استفهام، ولذلك وصف الله نفسه بالخبير لا بالمستفهم.[2]

ويفرق علماء البلاغة بين الطلب في الاستفهام والطلب بالأمر والنهي والنداء، ففي الاستفهام «تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق، وفي سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب أن يحصل له في الخارج مطابق، فنقش الذهن في الأول تابع، وفي الثاني متبوع.» [3]

أدوات الاستفهام :أدوات الاستفهام حروف وأسماء.

أولاً: حروف الاستفهام: أشهر ألفاظ الاستفهام في العربية حرفان، وهما: الهمزة وهل، وزاد ابن هشام في المغني[4]، حرفاً ثالثاً وهو (لولا) ومثل له بقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ [5]، والظاهر أن لولا في الآية للتحضيض وليس للاستفهام.

وأضاف المبرد، وابن جني والصُّيمري وابن بابشاذ والسَّكاكي وابن يعيش إلى حرفي الاستفهام حرفاً ثالثاً هو (أم).[6]

والراجح أنّ (أمْ) لا تأتي وحدها للاستفهام، وإنما هي (أم) التي تأتي مع الهمزة المقدرة، وتكون في وسط الجملة، والمعروف أن أدوات الاستفهام لها الصدارة فكيف تكون أداة الاستفهام وسط الجملة.

---

(1) الصاحبي (292)، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي،تقديم:محمد شريف سكر،دار إحياء العلوم - بيروت،1992م، (199/3).
(2) الصاحبي (292).
(3) مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي، المكتبة العلمية - بيروت، د.ت، (132).
(4) مغني اللبيب (361).
(5) المنافقون (10).
(6) المقتضب (289/3)، واللمع (313)، التبصرة والتذكرة (467/1)، وشرح المقدمة النحوية، لطاهر بن بابشاذ، تح: خالد عبدالكريم، الكويت،ط1،1976م (269)، ومفتاح العلوم (146)، وشرح المفصل (150/8).

ثانياً: أسماء الاستفهام: وهذه الأسماء هي: من، وما، وأي، وكيف، وأين، وأيّان، ومتى، وأنّى، وكم الاستفهامية، وهي جميعها مبنية عدا (أي) فإنها معربة، وقد جاءت أدوات الاستفهام في السيرة حروفاً، وأسماء، وجاءت (كائن)، وهي لغة في (كأيّن) بمعنى كم[1]، وأضيف إلى هذه الأدوات (عسى)، و(لعل) و(كأنّ) بحسب رأي بعض النحاة.

أنماط الاستفهام بالهمزة:

الهمزة هي أم باب الاستفهام كما يسميها النحاة، ولها أحكام خاصة بها، وهي من الحروف غير المختصة التي لا تختص بالفعل، أو بالاسم، أو بالحرف وإنما تدخل على كل ذلك، وتأتي لطلب التصور، أو لطلب التصديق، وهي الأداة الوحيدة من أدوات الاستفهام التي يجوز فيها ذلك[2]، وقد قسمتُ أنماط الاستفهام بالهمزة إلى:

النمط الأول: الهمزة + جملة اسمية: وتدخل الهمزة على الجملة الاسمية لغرض الاستفهام، وقد تكون الجملة الاسمية مكونة من مبتدأ وخبر مفرد كقول ابن إسحاق: «أأنت قاتل أحمر»[3]، وقد تدخل الهمزة على الاسمية التي خبرها جملة فعلية، ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

وقـــولا لـــه: أَأَنْـــتَ رَفَعْـــتَ هـــذه

بـــلا عمـــدٍ أَرْفِـــق إذا بـــك بانيـــا [4]

ومنه في النثر قول أبي بكر رضي الله عنه: «أنحن ننكشف عنه»[5]، وتدخل همزة الاستفهام على الجملة الاسمية التي خبرها شبه جملة، وغالباً ما يكون الخبر مقدماً.

ومنه قول هند بنت عتبة:

أفـــي الســـلم أعيـــارٌ جفـــاءً وغلظـــةً

وفـــي الحـــرب أشـــباه النّســـاء العـــوارك [6]

ومن النثر قوله ﷺ: «أفي الأحياء هو أم في الأموات.»[7]

النمط الثاني: الهمزة + وصف عامل عمله فعله: وتدخل الهمزة على الوصف العامل عمله فعله، والذي يرفع فاعلاً يسد مسد الخبر، وأخّرت هذا النوع هنا لأن له صفات متشابهة تميزه عن غيره؛ وبذلك يستحق أن يكون مستقلا، ومن هذا النمط في الشعر قول حارثة بن شراحيل:

---

(1) الكتاب (170/2).
(2) الأمهات (10،11).
(3) السيرة (63/4)، (132/1)،(123/4).
(4) السيرة (264/1).
(5) السيرة (342/3)،(415/1)،(45/4).
(6) السيرة (268/2).
(7) السيرة (105/3)،(42/2).

بكيـــتُ علـــى زيـــدٍ ولـــم أدرِ مـــا فعـــل

أحـــيٌّ فيُرْجـــى أم أتـــى دونـــه الأجـــل[1]

وفي النثر قول ابن إسحاق: «أحقٌّ هذا أم باطل»[2]

النمط الثالث: الهمزة + جملة فعلية: وهذا النمط له مميزاته الخاصة، فالهمزة هنا تدخل على فعل، وقد يكون معها حرف نفي مثل(لم) أو(ما) أو(لا)، وقد تأتي مع الحروف حروف العطف (الواو) أو (الفاء)، وأنواع هذا النمط بحسب حالة الإثبات أو النفي:

أ) الاستفهام بالهمزة في سياق إثبات الفعل: وهذا النوع يتميز بدخول الهمزة مباشرة على الفعل مثل:

أتتـــركُ أمـــرَ القـــومِ فيـــه بلابـــلٌ

تكشّـــف غيظـــاً كـــان فـــي الصّـــدر موجحـــا [3]

وفي النثر قول الصحابة: «أَيَعْطِفُ عليه رجل منا.»[4]

ب) وهذا النوع يدخل حرف العطف فيه مع الهمزة، ومنه مع الفاء قول ابن إسحاق: «أفيدوم ذلك من سلطان أم ينقطع»[5]، وقوله: «أفكان جزاء أبيك ما صنعت به؟»، [6]وقد يدخل مع الهمزة حرف العطف (الواو) ومنه قولهﷺ: «أو يكفي الله يا أمَّ سليم.»[7]

ج) الهمزة مع قد والفعل، ومنه قوله ﷺ: «أقد فرغت يا أبا الوليد»[8]، وقد يدخل مع (قد) حرف عطف، ومنه قولهﷺ: «أوقد رأيت ذلك يا سلمان.»[9]

د) الهمزة + عوارض بناء الجملة الفعلية: وهذا النوع يرتبط بعوارض بناء الجملة الفعلية، كحذف الفعل أو التقديم والتأخير فيها، وهذا النوع أفردناه في الفعلية لكثرة نماذجه في السيرة، وأما في الجملة الاسمية فلم نفرد له نوعاً مستقلاً؛ لندرته، وهو قسمان:

القسم الأول: تقديم المفعول مع الفعل مع همزة الاستفهام، ومنه قول أمية بن أبي الصلت:

أربـــــاً واحـــــداً أم ألـــــفَ ربٍ

أديـــــنُ إذا تُقُسِّـــــمَتِ الأمـــــور[1]

---

(1) السيرة (285/1).
(2) السيرة (333/1)، (51/1)، (254/2)، (352/3).
(3) السيرة (6/4)، موجحا: مستورا.
(4) السيرة (93/3)، (73/3)، (64/4).
(5) السيرة (49/1).
(6) السيرة (107/1).
(7) السيرة (96/4)،(356/1).
(8) السيرة (330/1)، (327/3)،(63/4).
(9) السيرة (242/3)، (21/2).

ومما جاء في النثر قول ابن إسحاق: «أقليلاً أعطيت أم كثيراً»[2]، وفي تقديم المفعول في مثل هذا اهتمام.

القسم الثاني: الهمزة + فعل مقدر: وهذا النوع يتميز بظهور اسم منصوب بعد همزة الاستفهام، وهذا الاسم المنصوب يفسر على أنه تابع في التحليل لتركيب يدل عليه السياق، فقد يكون حالا فعله مقر ومنه قول صفوان بن أمية: «أغصباً يا محمد»[3]، وقد يكون مفعولا مطلقا، ومنه قول عامر بن الطفيل: «أغدةً كغدة الإبل، وموتاً في بيت سلولية.»[4]

ومما يقدر فيه حذف الفعل، ويبقى الجار والمجرور متعلقين به قوله - ﷺ-: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم»[5]، أي: أتدعون بدعوى الجاهلية، ومنه قول عمار بن ياسر: «أي بلال، أبأسيري»[6]، أي أتفجعني بأسيري؟.

هـ) الهمزة + أداة نفي: وهذا النوع تقترن فيه الهمزة بحرف نفي يدخل على الفعل كقول طالب بن أبي طالب:

ألم تعلموا ما كان في حرب داحسٍ

وجيش أبي يكسوم إذ ملئوا الشعبا[7]

وفي النثر قول ابن إسحاق: «ألم تر ما حدث في السماء»[8]، وقد يقترن حرف العطف بـ (لم) كقوله: «أفلم تكن لهم في ذلك عبرةٌ وبيّنة.»[9]

وقد يدخل على همزة الاستفهام (ما) التي للنفي ومنه قول رجل من بني محارب: «أما تخافني وفي يدي السيف»[10]، وقد يدخل حرف العطف مع (ما) ومنه قول أبي سفيان: «أو ما جئت محمداً»[11]، وقد يأتي مع الهمزة حرف النفي (لا)، ومنه قول كعب بن أسد: «ألا ترون الداعي لا ينزع»[12]، ويدخل في هذا النوع اقتران الهمزة بـ(ليس) التي تدل على النفي، ومنه قول جبار بن سلمى: «ألست قد قتلت الرجل.»[13]

---

(1) السيرة (262/1)،(204/2)، (206/2)، (265/3)، (41/4)،
(2) السيرة (160/2)
(3) السيرة (90/4).
(4) السيرة (223/4).
(5) السيرة (169/2).
(6) السيرة (244/2).
(7) السيرة (93/1).
(8) السيرة (243/1)، (51/4).
(9) السيرة (191/2).
(10) السيرة (227/3)، (33/2).
(11) السيرة (44/4)، (327/3).
(12) السيرة (265/3).
(13) السيرة (207/3)، (346/3).

الاستفهام بـ(هل):

و(هل) الحرف الثاني من حروف الاستفهام، تحدث عنها سيبويه في كتابه، وذكر فروقاً بينها، وبين الهمزة فقال: «وذلك أنّ (هل) ليست بمنزلة ألف الاستفهام، لأنك إذا قلت: (هل تضرب زيداً)، فلا يكون أن تدّعيَ أنّ الضرب واقع، وقد تقول: (أتضرب زيداً)، وأنت تدعي أن الضرب واقع، ومما يدلك على أن ألف الاستفهام ليست بمنزلة (هل) أنك تقول للرجل: (أطرباً)، وأنت تعلم أنه قد طرب لتوبخه وتقرره، ولا تقول هذا بعد (هل)»، ويَذكر مجيئها بمعنى (قد).[1]، ويظهر مجيئها بمعنى(ما) في السيرة في قول رجل من بني ملكان:

وهـــل ســـعدُ إلا صـــخرةٌ بتنوفـــة

مـــن الأرض لا تـــدعو لغـــيٍ ولا رُشْـــد[2]

وهذا الوجه يتفق بعض النحاة معه[3]، وتدخل (هل) على الجملة الاسمية والفعلية، وقد وردت في عدة تراكيب في السيرة النبوية فيما يلي بيان ذلك:

النمط الأول: هل + جملة اسمية: وأكثر ما جاءت في هذا النمط مع الجملة الاسمية التي خبرها شبه جملة، ومنه قولهﷺ: «هل معك من هديٍ»[4]، وقد يحذف معها المبتدأ ويبقى الخبر وهو شبه جملة، ويفهم ذلك من السياق، ومنه قول نفر من قريش: «هل لك يا أبا بكر في صاحبك؟»[5]

النمط الثاني: هل + جملة فعلية: الأصل في حروف الاستفهام ألا يليها إلا الفعل، ولكن توسعوا فيها فابتدؤوا بعدها الأسماء، والأصل غير ذلك، ألا ترى أنهم يقولون: (هل زيد منطلق، وهل زيد في الدار)[6]، والكثرة تدعم هذا الرأي، ولا يعني ذلك اختصاصها بالفعل، ومما ورد من هذا النمط في السيرة:

1) هل + فعل تام، ومنه قولهﷺ: «هل تزوجت بعد؟».[7]
2) هل + فعل ناقص، ومنه قول عمر ﷺ: «فهل كنت كاهناً في الجاهلية؟»[8]

الاستفهام بـ(من):

---

(1) الكتاب (176/3)، (189/3).
(2) السيرة (116/1)، التنوفة: القفر من الأرض.
(3) حروف المعاني والصفات لأبي القاسم الزجاجي، تح: حسن شاذلي فرهود، دار العلوم – بيروت، 1982م، (2).
(4) السيرة (258/4)، (413/1،414)، (38/2).
(5) السيرة (12/2)،(60/2).
(6) الكتاب (98/1، 99).
(7) السيرة (229/3)، (275/1)، (247/2)، (267/3).
(8) السيرة (246/1)،(55/2).

(مَن) اسم لمن يعقل، تقول: (من لقيت؟، أو من مربك؟) في الاستفهام، وهو يكون في الواحد، والاثنين، والجميع، ويخرج الفعل منه على لفظ الواحد، والمعنى تثنيته أو جمعه»[1]، و(من) يستفهم بها عن النكرة والمعرفة، وقد جاء من أنماطها في السيرة:

1) النمط الأول: (من) مبتدأ + خبر (معرفة): ومنه في السيرة قولهﷺ: «من أنتم؟»[2]، وقد دخلت (من) على معرفة.
2) النمط الثاني: (من) مبتدأ + خبر (نكرة): وجاء منه في السيرة قولهﷺ: «من رجلٌ يكلؤنا ليلتنا هذه؟».[3]
3) النمط الثالث: (من) مبتدأ + خبر شبه جملة: وهذا النوع قولهﷺ: «من لهذا؟»[4]، وقولهﷺ: «من فيهم من أشراف قريش؟».[5]
4) النمط الرابع: (من) مبتدأ + خبر جملة فعلية: وهذا النوع عندما يأتي بعد (مَن) فعل متعدٍ استوفى مفعوله، أو فعل لازم[6]، ومنه قول أم سعد بنت سعد بن الربيع: «من أصابك بهذا»[7]، وقول عمرو بن عبد وُد: «من يبارز.»[8]
5) النمط الخامس: (حرف جر + مَن)، شبه جملة خبر مقدم: ومنه في السيرة شيخ من العرب: «ممن أنتما؟»[9]، وقول أبي جهل: «لمن الدائرة اليوم؟»[10]

الاستفهام بـ(ما):

قال الفراء: «الأصل في (ما) أن تكون لغير العاقل، ولكن العرب استعملوا (ما) للعاقل على قلة، ولم يشع في الاستعمال»[11]، ومعنى (ما) الاستفهامية: أي شيء[12]، وجاءت (ما) الاستفهامية في السيرة على الأنماط الآتية:

النمط الأول: (ما) مبتدأ + خبر معرفة، ومنه قولهﷺ: «ما الذي معك؟»[13] وقول عمر بن الخطاب: «ما هذا الذي يصيبك؟»[14]، وقول أنس بن مالك: « ما الكوثر الذي

---

(1) الصاحبي (274).
(2) السيرة (42/2)،(106/3)، (413/1)، (427/1)، (101/3)، (53/4)، (107/2).
(3) السيرة (230/3)، (376/1)، (211/3).
(4) السيرة (363/3).
(5) السيرة (229/2).
(6) مغني اللبيب (607).
(7) السيرة (91/3).
(8) السيرة (248/3).
(9) السيرة (228/2).
(10) السيرة (246/2).
(11) معاني القرآن (102/1)، الصاحبي (269).
(12) مغني اللبيب (393).
(13) السيرة (40/2).
(14) السيرة (193/3)، (259/4).

أعطاك الله؟»[1]، وقول عدّاس: «ما يونس بن متى؟»[2]، وقول نفر من قريش:«ما آية ذلك؟»[3]، وقول ابن إسحاق:«ما ذاك؟»[4]

النمط الثاني: (ما) مبتدأ + خبر نكرة: وهذا النوع نادر جداً في السيرة، ولم يرد إلاّ مرة واحدة، في قوله - ﷺ- للأنصار رضي الله عنهم:«ما قالةٌ بلغتني عنكم، وجدةٌ وجدتموها عليّ في أنفسكم؟»[5]، ومعنى (قالةٌ) مصدر من القال، والقيل في الشر خاصةً، ويقال كثرت كثرت قالة الناس.[6]

النمط الثالث: (ما) مبتدأ + خبر شبه جملة: ومنه في السيرة النبوية: وقوله - ﷺ-: «ما لهم ولعمار؟»[7]، وقول ابن إسحاق: «مالك؟»[8]

النمط الرابع: (ما) مبتدأ + الخبر جملة فعلية: ومنه قوله - ﷺ-: «ما أقرأ؟»[9]

النمط الخامس: (ما) مفعول به + فعل وفاعل، وهذا النمط عندما تدخل (ما) على فعل متعدٍ لم يستوفِ مفعولَه[10]، ومن هذا النمط قول أبي سفيان: «ما تقول؟»[11]، وقول عدّاس:«ما يدريك ما يونس بن متى؟»[12]، فـ(ما) الثانية واقعة مع خبرها موقع المفعول به الثاني لـ(يدريك).

النمط السادس: (حرف جر + ما): قال ابن هشام: ويجب حذف ألف (ما) الاستفهامية، إذا جُرَّت، وإبقاء الفتحة دليلاً عليها، نحو:(فيم، وإلام، وعلام، وبم..)، وعلة حذف الألف الفرق بين الاستفهام والخبر..»[13]، ومن هذا في السيرة قول عمر ﷺ: «فعلامَ نعطي الدنية في ديننا؟»[14].

النمط السابع: دخول هاء السكت على (ما): قال سيبويه: «وأما قولهم: علامَ، وفيمه، وليمه، ولمه، وحتامه، فالهاء في هذه الحروف أجود عند الوقف، لأنك حذفت الألف من (ما) فصار آخره كآخر (ارمه، واغزه»[15]، فسيبويه يعلل دخول هاء السكت لأجل الوقف،

---

(1) السيرة (8/2).
(2) السيرة (34/2).
(3) السيرة (16/2).
(4) السيرة (41/2، 52، 232).
(5) السيرة (152/4).
(6) لسان العرب، مادة (قول) (351/11).
(7) السيرة (111/2).
(8) السيرة (196/1، 201، 249، 212).
(9) السيرة (265/1، 273)،(28/4، 21)، (187/4).
(10) مغني اللبيب (607).
(11) السيرة (114/3).
(12) السيرة (34/2).
(13) مغني اللبيب (313).
(14) السيرة (45/4)،(408،244،98).
(15) الكتاب (164/4).

ولعلها تفيد إلى ذلك الجانب الإنفعالي من ردة فعل السؤال واستثارته، ومنه في السير قول ابن إسحاق: «أأنت قاتل أحمر؟ قال: نعم أنا قاتل أحمر، فمه» [1]، فالسؤال فيه ردة فعل للاستثارة.

ومنه قول العاص بن وائل: «فقال: فمه، رجل أختار لنفسه أمراً فماذا تريدون»[2]

الاستفهام بـ(ماذا):

وقد أفردتها لما فيها من اختلاف بين النحاة، أهي مركبة أم بسيطة؟، وذكر لها ابن هشام أربعة أوجه[3]:

1) أن تكون (ما) استفهامية و(ذا) إشارة نحو (ماذا التواني؟)، وبذلك تكون (ما) مبتدأ (ذا) اسم إشارة خبر.
2) أن تكون (ما) استفهامية و(ذا) موصولة كقول لبيد:

ألا تسـألان المـرءَ مـاذا يحـاول
أنحـبٌ فيقضـى أم ضـلال وباطـل[4]

فتكون (ما) مبتدأ، و(ذا) موصول، لأنه مفتقر إلى جملة بعده.. قال: وهو أرجح الوجهين في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [5]، برفع العفو، لأن الأصل أن تجاب الاسمية بالاسمية، والفعلية بالفعلية.

3) أن يكون (ماذا) كله استفهاماً على التركيب كقولك: (لماذا جئت؟)، أي تكون كتلة لغوية كاملة.
4) أن يكون (ماذا) كله اسم جنس بمعنى شيء أو موصولاً بمعنى الذي، والذي يتأمل في الأنماط التي تأتي فيها (ما) مقترنة بـ(ذا) نجد الآتي:
1) إذا جاء بعدها اسم مثل:(ماذا التواني؟) ويكون معرفاً بـ(أل) فإن السياق في الجملة يرجح أن يكون (ذا) اسم إشارة بمعنى: ما هذا التواني؟
2) إذا جاء بعدها (فعل) مثل (ماذا تعمل؟)، فإن السياق اللغوي في الجملة يرجح أن يكون (ذا) اسم موصول بمعنى: ما الذي تعمل؟، لأنه لا يصح تقدير (ما هذا تعمل؟).
3) إذا جاء بعدها (شبه جملة) مثل: (ماذا معك؟)، (ماذا لك؟)، أو (ماذا وراءك؟)، فإن التقدير يسمح أن يكون (ذا) اسم موصول بمعنى: ما الذي معك، ما الذي لك؟ وما الذي وراءك؟، ويسمح أن يكون (ذا) اسم إشارة أيضاً، ماعدا جملة: ماذا لك، لأن تقديرها اسم إشارة يخرج الجملة من

---

(1) السيرة (63/4).
(2) السيرة (387/1).
(3) مغني اللبيب (395، 396).
(4) البيت للبيد، ديوانه (80).
(5) البقرة (218).

الاستفهام إلى النفي، أما إذا دخل عليها حرف جر مثل: (بماذا كتبت)، فالراجح أنها كتلة واحدة، وأما اختلاف النحاة في البيت:

دعـــــي مـــــاذا علمـــــتِ ســـــأتقيه

ولكـــــــن بالمغيـــــــب نبئينـــــــي[1]

فإن الأرجح أن (ذا) اسم موصول، ومما جاء من أنماط (ماذا) في السيرة:

1) النمط الأول: ما يترجح فيه كون (ذا) اسماً موصولاً، ومنه قولهﷺ: «ماذا أقرأ؟»[2]، وقوله: «ماذا لقينا من أحمائك؟».[3]

2) النمط الثاني: ما يجوز فيه كون (ذا) اسم إشارة أو اسماً موصولاً، وهذا النمط جاءت فيه ماذا منفردة عن كلام سابق، ومنه قول عمر بن الطفيل: «... أما أنا والله فقد أوّلتها. قالوا: ماذا؟ »[4]، فيحتمل: ما هذا التأويل؟، ويحتمل: ما الذي أولتها به.

الاستفهام بـ(متى، أيان، أين، أنّى):

(متى)، و(أيان)، و(أين)، و(أنّى) تكون هذه الأدوات ظروفاً(مفعولاً فيها) إذا جاء بعدها فعل، أما إذا جاء بعدها اسم فهي خبر وجاء منها في السيرة:

النمط الأول: (أين) خبر مقدم:ومنه قولهﷺ:«أين جابر»[5]، وقول ابن إسحاق: «أين هي»[6].

النمط الثاني: (أين، متى، أنى) ظرف: ومنه قول هبيرة بن أبي وهب:

قالـــت كنانـــةُ: أنّـــى تـــذهبون بنـــا

قلـــت: النَّخيـــل فأمّوهـــا ومـــن فيهـــا[7]

ومن النثر قول عمر وأبي بكر رضي الله عنهما:«أنّى لك هذا اللحم يا عوف»[8]، وقول نعيم بن عبدالله:«أين تريد يا عمر؟»[9]، وقد تكون ظرفا لفعل مقدر ومنه قول ابن الدُّغُنَّة: «أين يا أبكر.»[10]

---

(1) من شواهد سيبويه (405/1)، ولم ينسبه إلى أحد، ونسبه العيني لسحيم بن وثيل (488/1).
(2) السيرة (273/1).
(3) السيرة (33/2)، وانظر: (387/1)، (413/1)، (428/1)، (388/1).
(4) السيرة (423/1).
(5) السيرة (229/3)، وانظر: (249/2)، (3939/1).
(6) السيرة (182/1).
(7) السيرة (146/3).
(8) السيرة (282/4).
(9) السيرة (381/1).
(10) السيرة (411/1).

النمط الثالث: اسم مجرور: وجاء منه قول عمر و بن العاص: «أذهبُ – والله – فأسلمُ، فحتى متى؟»[1]، أي: حتى متى أتوانى.

(1) السيرة (304/3).

الاستفهام بـ(أي):

وتأتي (أيّ) للاستفهام[1]، وتعرب بحسب ما تضاف إليه لأنها لا تستعمل إلا مضافة، وهي معربة، فإن أضيفت إلى مصدر فهي مفعول مطلق، وإن أضيفت إلى ظرف فهي ظرف، وإن أضيفت إلى نكرة فهي مبتدأ، وكذلك إذا أضيفت إلى معرفة، ،إن دخل عليه حرف جر فهي اسم مجرور، وجاء منها في السيرة:

النمط الأول: (أي) مبتدأ: وقد يأتي خبرها مفردا كقول عمر ﷺ: «أي أهل بيتي»[2] وقد يقدر كقوله ﷺ: «أو ما بلغكم ما قال صاحبكم؟ قال: وأي صاحبٍ يا رسول الله»[3]، أو يكون جملة فعلية كقول أبي أحمد بن جحش:

فـــأيُّ ابـــن أخـــتٍ بعـــدنا يَـــأمَنَنُّكم

..... [4]

النمط الثاني: (أيّ) مفعول به: وهذا قليل الورود وأيضاً في السيرة لقلة ورود (أي) عامة، ومنه:

.....

وأيـــةَ صـــهرٍ بعـــد صـــهري ترقـــب [5]

فـ(أية) مفعول به لمجيء الفعل (ترقب) غير مستوف لمفعوله.

النمط الثالث: اسم مجرور، ومنه في السيرة قول دريد بن الصمة: «بأي وادٍ أنتم؟» فـ(بأي) جار ومجرور، خبر مقدم.

---

(1) مغني اللبيب (107).
(2) السيرة (381/1).
(3) السيرة (319/3).
(4) السيرة (87/2).
(5) السيرة (87/2).

الاستفهام بـ(كم):

لها قسمان: استفهامية وخبرية، وبينهما فروق، فالخبرية تحتمل التكذيب، والتصديق، بخلاف الاستفهامية، والمتكلم في الخبرية لا يقتضي جواباً، أما المتكلم بالاستفهامية فيقتضي جواباً، لانها حوار بين السامع والمتكلم، وتمييز(كم) الخبرية مفرداً أو مجموعاً، نحو: (كم قلمٍ اشتريت؟)، وتقول: (كم أقلامٍ اشتريت؟)، ولا يكون تمييز الاستفهامية إلا مفرداً خلافاً للكوفيين إذ يرون الإفراد والجمع، وتمييز (كم) الخبرية واجب الخفض، وتمييز الاستفهامية منصوب، ولا يجوز جره مطلقاً خلافاً للفراء، والزجاج، وابن السراج، وآخرين، وبعضهم أجاز بشرط أن تجر بحرف، مثل:(بكم درهم اشتريت).[1]

و الحركة في الاسم الذي بعد (كم) من نصب أو جر هي عنصر تحويل، فالكسرة علامة الإخبار، والفتحة علامة الاستفهام..، ويشترك مع ذلك النغمة الصوتية، ففي الإخبار تكون النغمة الصوتية مستوية، بينما هي ذات نغمة صوتية صاعدة في معنى الاستفهام[2].

ويلحق بـ(كم)، (كأيّن) وهي تفيد التكثير عند البعض، وسيبويه يجعلها كـ(رُبَّ) في المعنى[3]، وقد جاءت (كائِنُ) وهي لغة في (كأيّن)، وقد استخدمتها العرب، وأورد لها سيبويه شاهداً في كتابه وهو:

وكـــائنْ رددنـــا عـــنكم مـــن مـــدجج

يجـــيء أمـــام الألـــف تـــردي مقنعـــا[4]

---

(1) مغني اللبيب (245).
(2) في نحو اللغة وتراكيبها، خليل عمايرة، عالم المعرفة ـ جدة، ط1، 1984م،(169).
(3) الكتاب (171/2).
(4) البيت منسوب في كتاب سيبويه لعمرو بن شأس، الكتاب (170/2).

أنواع (كم) في السيرة:

1) استفهامية: وأغلب مجيئها في النثر ومنه قوله ﷺ: «كم القومُ؟»[1]، وقوله: «كم ينحرون من الإبل كل يوم؟»[2]، وقد تسبق بحرف جر ومنه في السيرة قول أبي بكر رضي الله عنه: «فبكم هما؟»،[3]

2) الخبرية: وقد جاءت كثيرا لاسيما في الشعر، وهي تدل على الافتخار والتكثير، [4] وإذا فصل بينها وبين تمييزها بفعل يؤتى معها بحرف الجر (من) لئلا يلتبس المميز بمفعول الفعل[5]، ومنها في السيرة قول حسان:

كم من أسيرٍ فَكَكْناه بلا ثَمَنٍ

وجزَّ ناصيةً كنّا مواليها[6]

وقول عبدالله بن الزبعرى:

كم ترى بالجر من جمجمةٍ

وأكفٍ قد أَتِرَت ورِجل [7]

(كائِن): وهي بمعنى (كأيّن) وتفيد التكثير[8]، ومنه قول عمرو بن معدي كرب:

وكائِنْ كان قبلك من نعيمٍ

وملكٍ ثابتٍ في الناس راسي[9]

وقول عباس بن مرداس:

فكائن تركنا من قتيل ملجب

وأرملة تدعو على بعلها لهفاً[10]

---

(1) السيرة (229/2).
(2) السيرة (229/2).
(3) السيرة (355/1).
(4) شرح قطر الندى(366).
(5) معاني النحو (294/2).
(6) السيرة (148/3).
(7) السيرة (152/3).
(8) الكتاب (171/2).
(9) السيرة (73/1).
(10) السيرة (117/4).

الاستفهام بـ (كيف): كيف سؤال عن الحال، قال سيبويه: «وكيف: على أي حال»[1]، حال»[1]، وهي من الأسماء التي يكثر أن يليها فعل[2]، وقد جاء من أنماطها في السيرة:

1) **النمط الأول: (كيف + اسم)** وتكون خبراً مقدماً، ومنه قول أبي طالب:

ألا ليتَ شعري: كيف في النَّأيِّ جعفرُ

وعمرو و أعداء العدوِّ الأقاربِ [3]

2) **النمط الثاني: كيف + فعل:** ومنه قول عائشة رضي الله عنها: «كيف تجدك يا عامر؟»[4]، وقول رجل من أهل الكوفة: «كيف كنتم تصنعون؟»[5]، وقد يحذف بعدها الاسم، ويؤتى بها بدون مبتدأ، وتكون خبراً مقدماً، والمبتدأ مقدر حسب السياق، ومنه قول أبي طالب:

وكيف ولم يَجْنوا عليكَ عَظيمة

ولم يخذلوك غانماً أو مغارماً [6]

الاستفهام بـ(لعل): ذكر بعض العلماء أن (لعل) تكون للاستفهام، وقد أثبت هذا المعنى ابن فارس قال: ولعل تكون استفهاماً[7]، وابن هشام: أثبته عن الكوفيين[8]، وأثبته السيوطي[9]، وقد ورد حديث في صحيح البخاري يؤكد معنى الاستفهام في (لعل)، وهو: «لعله آذاك هوامك؟»[10].

وهناك أحاديث أخرى من غريب الحديث جاءت فيها (لعل) تفيد الاستفهام ومنها: «لعلك بلغت معهم الكرى؟»، و«لعلنا أعجلناك؟»[11]، وقد وردت في السيرة النبوية الاستفهام بـ(لعل):ومنه قول الوليد بن المغيرة: «لعلّه آذاك أحد من قومي»[12]، وهذه الأداة ليست أصيلة في الاستفهام وإنما تفيده مع قرينة التنغيم في السياق.

---

(1) الكتاب (233/4).
(2) السابق (115/3).
(3) السيرة (371/1).
(4) السيرة (201/2).
(5) السيرة (255/3).
(6) السيرة (409/1).
(7) الصاحبي (267).
(8) مغني اللبيب (379).
(9) الإتقان (539/2).
(10) فتح الباري (12/4)، وبناء الجملة في الحديث النبوي (439).
(11) تركيب الجملة الإنشائية في غريب الحديث (401، 402).
(12) السيرة (408/1).

الاستفهام بـ(عسى): (عسى) معناه الترجي في المحبوب، والإشفاق في المكروه[1]، ولم أقف على قول أشار إلى استخدامها للاستفهام، ولكنها وردت في تركيب في السيرة النبوية يتضح فيها معنى الاستفهام، وهوقوله ﷺ لأكثم بن الجون الخزاعي: «يا أكثم.. رأيت عمرو بن لحي.. يجر قصبه في النار، فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به، ولا بك منه. فقال أكثم: عسى أنْ يضرّني شبهه يا رسول الله؟ قال: لا، إنك مؤمن وهو كافر» [2]، فيتضح فيتضح أنْ معنى عسى هنا (هل)، مثلما جاءت (لعل) بمعنى (هل)، و(عسى) توضع موضع (لعل).

الاستفهام بالتنغيم: جاء في لسان العرب: «النّغَم: الكلام الخفي، والنغمة: الكلام الحسن، وقد تنغم بالغناء، ونحوه»[3]، وفي اصطلاح النحويين المحدثين هو:

«ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام، ويسمى أيضاً موسيقى الكلام»[4]، وهو نوعان من اختلاف درجة الصوت يمكن التمييز بينهما[5]:

النغمة: وهنا تقوم درجات الصوت بدورها المميز على مستوى الكلمة.

التنغيم: وهنا تقوم درجات الصوت المختلفة بدورها المميز على مستوى الجملة، فهو وصف للجمل، وأجزاء الجمل، وليس للكلمات المختلفة المنعزلة.

والتنغيم تستخدمه معظم اللغات بطريقة تمييزية تفرق به بين المعاني، إذْ يمكن في معظم اللغات أن تغير الجملة من خبر إلى استفهام، أو توكيد، أو انفعال، أو تعجب، دون تغيير في أشكال الكلمات المكونة، فالجملة العربية مثلاً: «حضر محمّد» صالحة لأن تقال بنغمات متعددة فتغير معناها مع كل نغمة، فترى أنها تكون استفهامية إذا نطقت بنغمة صاعدة من أسفل إلى أعلى، وتكون خبرية إذا نطقت بنغمة مستوية، وتوكيدية إذا نطقت بنغمة صاعدة هابطة، وترتيب الكلمات في الجملة الأولى والثانية والثالثة واحد، والفرق هو طريقة نطق كل جملة[6].

والتنغيم له جذور تراثية عربية، ويبدو ذلك واضحاً من كلام ابن جني، الذي ذكر فيه أن الصفة قد تحذف أحياناً ويدل عليها الحال، وذلك فيما حكاه سيبويه من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل.[7]

قال ابن جني: «وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها، وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح، والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل، أو نحو ذلك، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: كان والله رجلاً، فتزيد في قوة اللفظ بـ(الله) هذه الكلمة وتتمكن في

---

(1) مغني اللبيب (201).
(2) السيرة (111/1).
(3) لسان العرب، مادة (نغم)، (222/14).
(4) الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ط5، 1979م، (175).
(5) دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1981م، (186).
(6) دراسات في اللسانيات العربية (53).
(7) الكتاب (115/1).

تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها (وعليها)، أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك.

وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً، وتمكن الصوت وتفخمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً، أو جواداً، وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق، قلت: سألناه فوجدناه إنساناً، وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنساناً لئيماً، أو لحزاً، أو مبخلاً، أو نحو ذلك.»[1]

فيلاحظ أن ما وصفه ابن جني بالتطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم وزيادة قوة اللفظ، والتمكن في التمطيط، وإطالة الصوت.. في (سير عليه ليل)، و(كان والله رجلاً)، و(سألناه فوجدناه إنساناً)، هو ما يعنيه المحدثون بالتنغيم الذي يؤدي وظيفة دلالية مختلفة لا علاقة له بتركيب الجمل.

قال تمام حسان: « الأداة حين تحمل تلخيص أسلوب الجملة قد تحمله إيجابياً بوجودها أو سلبياً بعدمها حين تقوم القرينة على المعنى المراد مع حذف الأداة، وذلك كالاستغناء عن أداة الاستفهام أو العرض عند الاتكال على قرينة النغمة.. كأن تقول لرجل رآك تأكل تمراً مثلاً: (تأكل) بنغمة العرض، والمعنى: ألا تأكل؟ فهنا حيث تغني النغمة عن الأداة فيصبح معنى الأداة قد تحقق على رغم حذفها بواسطة ما يسمى بالدلالة العدمية أي دلالة عدم وجود الأداة، وهو الحذف على المعنى الذي يكون عند وجودها»[2]، فالنغمة الصوتية تمثل عنصر تحويل، ينقل الجملة من معنى إلى معنى آخر، وتقع في الجملة عنصراً من عناصر أداء المعنى، شأنها شأن غيرها من مورفيمات الجملة و فونيماتها.[3]

مواطن الاستفهام بالتنغيم في السيرة النبوية في مواطن:

أ) ما وصفه العلماء بالاستفهام بأداة مقدرة: وردت في اللغة العربية بعض النصوص التي تفيد الاستفهام، ولكن ليس فيها أداة استفهام لذلك جعل العلماء هذه النصوص من قبيل الاستفهام بأداة محذوفة قدروها بالهمزة.

قال سيبويه: «ويجوز في الشعر أن يريد بـ(كذبتك) الاستفهام ويحذف الألف»[4] وهو يشير إلى بيت الأخطل:

---

(1) الخصائص (370/2، 371).
(2) اللغة العربية معناها ومبناها (128).
(3) أسلوب النفي والاستفهام في العربية في منهج وصفي في التحليل اللغوي، د. خليل أحمد عمايرة، د. ت. (53).
(4) الكتاب (174/3).

كَـــــذَبَتك عينُـــــك أم رأتنـــــي بواســـــط

غلـــس الظـــلام مـــن الربـــاب خيـــالاً[1]

والدليل على أنه يفيد الاستفهام مجيء (أم) فكأنه قال: أكذبتك أم رأيت بواسط، وسار كثير من النحاة على رأي سيبويه، وقال المبرد في بيت عمر بن أبي ربيعة:

لعمـــرك مـــا أدري – وإن كنـــت داريـــاً –

بســـــبع رمـــــين الجمـــــر أم بثمـــــان[2]

قال: فليس على الإضراب، ولكنه أراد: أبسبع، فاضطر فحذف الألف، وجعل دليلاً على إرادته إياه[3]. فحذف الهمزة عنده ضرورة، وقصر النحاة الاستفهام بالهمزة المقدرة على التراكيب التي يكون في سياقها (أم) المنقطعة، وعدوه ضرورة.

ويترجح لدى الباحث أنه يطرد الاستفهام بلا أداة مع نغمة صاعدة لغرض الاستفهام في الشعر والنثر، فأما الشعر فقد مرت أمثلة مما ذكره سيبويه والمبرد، وأما النثر فقد ورد ذلك في الحديث النبوي[4]، والسيرة النبوية لابن هشام. ومما جاء في السيرة:

أ) ما يظهر فيه أنه للاستفهام ولا توجد معه (أم) المنقطعة، التي قصر العلماء حذف همزة الاستفهام معها، وهو كثير في السيرة ومنه قول ابن إسحاق: «قل له: حاجتُك؟»[5]، وقول رجل من غفار «يا محمد: أَنْظُرُ إلى سيفك هذا»[6]، وقول النجاشي «أَهْدَيت إليَّ من بلادِك شيئاً؟»[7].

ففي كل تلك الأمثلة لا يوجد قرينة تدل على الاستفهام غير التنغيم، فلا يوجد (أم) المنقطعة التي قصر العلماء حذف الهمزة معها، و الراجح أن القرينة الدالة على الاستفهام هي التنغيم، و هو قرينة صوتية تعرف من السياق.

ب) هناك طائفة أخرى من الأمثلة أيضاً، لا يرى الباحث أنه يمكن تقدير همزة معها، ولا يحتمله السياق، وهذه الأمثلة هي:

1) (كأنّ)، وجاء منها قول سعد بن معاذ: «لكأنك سمعت شيئاً تكرهه؟ قال: أجل»[8]، أجل»[8]، وقوله: «والله كأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل»[1]، ومما يؤكد أن (كأنّ) في

(1) من شواهد سيبويه، ونسبه إلى الأخطل (174/3).
(2) البيت لعمرو بن أبي ربيعة، الديوان،شرح: يوسف شكري فرحات، دار الجيل ـ بيروت،د.ت، (362).
(3) المقتضب، (294/3).
(4) بناء الجملة في الحديث النبوي (438).
(5) السيرة (83/1).
(6) السيرة (227/3).
(7) السيرة (304/3)، وانظر: (382/1)، (399/1)، (159/2)، (258/2)، (79/3)، (258/3).
(8) السيرة (200/2).

الأمثلة السابقة للاستفهام مجيئ (أجل) جوابا لها، فالتنغيم هو القرينة الوحيدة التي تحدد كون هذه الجمل للاستفهام، فلا يمكن أن تكون (كأنّ) على معناها من التشبيه، إذ لا يوجد ما يلمح إلى ذلك المعنى ولو تلميحاً، ولا يمكن أن تقدر همزة استفهام، ولذلك جعلت هذا نمطاً بعينه من أنماط الاستفهام بالتنغيم.

الاستفهام بالنبر: النبر في اللغة يدل على معنى الارتفاع، ونبر المعنى: رفع صوته عن خفض، وكل شيء ارتفع من شيء نبرة لانتباره، والنبرة: الورم في الجسم وكل مرتفع منتبر، وكل ما رفعته فقد نبرته تنبره نبراً ونبرت الشيء أنبره نبراً رفعته»[2]، فيلاحظ من المعنى اللغوي أنه ارتفاع في الصوت، أو في جزء من كلمة بالنسبة للأجزاء الأخرى.

قال الدكتور تمام حسان: «النبر: ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها» [3]، وهناك لغات تستخدم النبر للتفريق بين المعاني الصرفية للكلمات وتسمى هذه اللغات لغات نبرية.. ومنها الإنجليزية.. والأسبانية.. والفرلندية، والتشيكية، والبولندية..، أما اللغة العربية الفصحى كما يرى إبراهيم أنيس فلا تعتمد على النبر في تصنيفها الصرفي.. فلا علاقة بين النبر ومعاني الكلمات صرفياً.» [4]

بينما نجد الدكتور تمام حسان يحاول إثبات الأثر للنبر في الصيغ الصرفية في اللغة العربية فيقول: «ومن هنا يكون النبر على مستوى الصيغة والكلمة ذا وظيفة صرفية، هي تقديم القيم الخلافية التي تفرق بين طوائف من الصيغ مثل: فَعِل – فعِّل – فاعل – فعيل، حيث يفرق بين الكلمات الأربع، وبين الثلاث الأولى وبين الرابعة بالنبر، فيقع النبر في الكلمات الثلاث الأولى على المقطع الأول، وفي الرابعة على الثاني.»، وهو يرى أن يُعدل عن دراسة نبر الأبنية على نظام الصيغ إلى بنائه على ترتيب المقاطع في الصيغ؛ لأن عدد المقاطع ستة، وعدد الصيغ كثير جداً، وهو يفرق بين نوعين من النبر:

1) نبر القاعدة، أو نبر النظام الصرفي الذي ينسب إلى الصيغة الصرفية المفردة، والكلمة التي تأتي على مثال هذه الصيغة، وهذا النبر صامت.
2) نبر الاستعمال أو نبر الكلام والجمل المنطوقة، وهذا النبر أثر سمعي يرجع إلى أسباب عضوية محددة، ويقصد بها ظاهرة علو الصوت وانخفاضه، وهي مرتبطة بالجهاز الصوتي.[5]

ويعنينا هنا النبر الكلامي في الجمل المنطوقة، فهو يقع على غير المقتضيات الصرفية، أي يرتبط بالأداء والمعنى المراد إيصاله إلى السامع، فهو نبر دلالي يهدف إلى إبراز أو تأكيد معلومة جديدة، أو مهمّة في الجملة، ويكون بنبرها لإظهارها على بقية كلمات الجملة.[6]

---

(1) السيرة (227/2)، (134/1)، (240/2).
(2) لسان العرب، مادة نبر، (19/14).
(3) اللغة العربية معناها ومبناها (170).
(4) الأصوات اللغوية (174).
(5) اللغة العربية معناها ومبناها (171، 172).
(6) دراسات في اللسانيات العربية (51).

ونخلص من ذلك إلى أن النبر الكلامي المرتبط بالمقام والأداء يوجد في اللغة العربية ولكن يصعب تحديده في التراكيب المنقولة كتابةً، وذلك لأنه مرتبط بالمقام وانفعالاته، فالكلام المكتوب لا ينقل انفعالات المتكلم، ويمكن تحديده في مواطن قليلة جداً في اللغة العربية، وهي التي ينقل فيها الكلام بتأثيرات انفعالات المتكلم ن وتعرف من خلال السياق، وجاء في السيرة النبوية هذا في موضعين وفي كلمة واحدة: قال ابن هشام – عن سامة بن لؤي – «وبلغني أن بعض ولده أتى رسول الله - ﷺ- فانتسب إلى سامة بن لؤي، فقال رسول الله - ﷺ- آلشاعر؟»[1]، وقال:«فقال رسول الله - ﷺ- للعباس:
هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم، هذا البراء بن معرور، سيد قومه، وهذا كعب بن مالك. قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ: آلشاعر؟، قال نعم.» [2]

قال السهيلي: «آلشاعر بخفض الراء من الشاعر... لأنه مردود على ما قبله، كأنه مقتضب من كلام المخاطب...وإن كان الاستفهام لا يعمل ما قبله فيما بعده..، ولكن العامل مقدر بعد الألف فإذا قال لك قائل: (قرأت على زيد؟» مثلاً: آلعالِم؟ بالاستفهام، كأنك قلت: أعلى العالم، ونظير هذا ألف الإنكار، إذا قال القائل: (مررت بزيد)، فأنكرت عليه، فقلت: أزيدِنيه بخفض الدال، وبالنصب إذا قال: (رأيت زيداً)، قلت: أزيدَنيه، وكذلك الرفع.»[3]

فيتضح من كلام السهيلي أنّ عبارة (آلشاعر) مختلسة الحركة مما قبلها، فهي عبارة متصلة بما قبلها من حيث مشاكلتها في الحركة لما قبلها، وهذا يسمى المحاذاة، والمزاوجة، ويكون بين الكلمة والكلمة، إذا تجاورتا، فعامل المجاورة له تأثير في كلام العرب، وهو أن تجعل كلاماً بحذاء كلام، فيؤتى به على وزنه لفظاً، وإن كانا مختلفين، وقد يصل ذلك كما هو في العبارة السابقة (الشاعر).. إلى المحاذاة، أو المشاكلة النحوية، ويوسم ذلك عند النحاة بالمجاورة، وذكره سيبويه في قول العرب: هذا جحرُ ضبٍ خربٍ.[4]

فكلمة الشاعر مرتبطة بما قبلها من ناحية الأداء الصوتي لا من ناحية البناء النحوي، ولكن الذي بيّن دلالتها على الاستفهام، هو الضغط على الكلمة برمتها، حيث كان الموقف الكلامي يستدعي الانفعال، ولذلك أدّى ذلك إلى أدائها، على شاكلة الجملة السابقة لها، إلا أن الصوت لا يكونُ فيها أكثر وضوحاً من غيرها.

ويترجح عند الباحث أن النبر الكلامي مرتبط ببعض المواقف الكلامية التي يكون الأداء فيها بالضغط على كلمة أكثر من غيرها، ومن هذا المواقف الاستفهام على صورة التعجب أو الإنكار.

الفصل الثاني

(1) السيرة (133/1).
(2) السيرة (53/2).
(3) الروض الأنف (121/1).
(4) الكتاب (217/1).